الفصل الثاني عشر

حافظ على النظام

للفوضى مفاعيل بالغة في حياتك،
لا تستخفّ بها.

كارين كينغستون،
خلق الأمكنة المقدّسة بوساطة فينغ شوي

إذا كنتَ تنتمي إلى الجامعين المعروفين، لا يمكنك تنظيف مكتبك أو شقّتك في يومٍ واحد أو يومين. اطرحْ على نفسك باستمرار السؤال التالي: "هل لديّ في شقّتي أشياء لا أحتاجها فعلاً؟". سوف تستغرب ما يمكن لإنسانٍ واحد أن يجمعه في غضون بضعة سنوات. كن واقعياً. لا يمكن أن تنتهي العملية بين يومٍ وليلة. خلق النظام ليس مسألةً فريدة لا تتكرّر، بل هو عملية متواصلة. ومع التمرين الضروري يسير كل شيء من تلقاء نفسه. وبمجرد أن تراودك الفكرة التي مفادها "لاشك في أنني سوف أحتاج هذا فيما بعد..."، أو "هذا يذكّرني بشخصٍ يعني لي الكثير"، تدقّ لديك أجراس الإنذار على الفور، ليتبيّن لك أن الشيء المعني مكانه القمامة.

وفي وقتٍ ما سوف تغدو أعمال التنظيف والترتيب هذه من البديهيات. ما إن تكتشف أن في مقدورك العيش من دون "كنوزك" هذه، حتى يسهل عليك تكرار العملية مرة ثانية وثالثة. تخلّص إيد في المرة الأولى من كل الأشياء التي لم يعد يستعملها منذ ستة أشهر. وأخيراً أهدى شقيقته الشوّاية والخلاّط اللذين كان قد حشرهما في خزانة المطبخ لضيق المكان. وقد تعلّم أخيراً، في إطار عمليات التنظيف والترتيب، أن يقدّر المكان أكثر من تقديره لممتلكاته التي تتطلّب مكاناً بطبيعة الحال.

وقد شكّل هذا نقطة التحوّل في حياته. وتوفّر أخيراً مكان في مصنّفاته. وأصبح يعثر على ما يريده في دقائق قليلة، من غير أن يضطر إلى الغوص طوال ساعات في المصنّفات والأدراج المليئة. وقد تمكّن أخيراً من أن يفتح الخزائن في شقّته من دون أن يسقط شيء ما على رأسه، كما استطاع ترتيب أفكاره بشكل أفضل، ولاحظ أشياء لم يكن قد لاحظها سابقاً على الإطلاق، لا بل تعرّف أخيراً إلى امرأةٍ شديدة الجاذبية. وبما أنه لم يعدْ يخجل بشقّته، فقد دعاها إليها. لقد اتّضح له أن ممتلكاته ليست أكثر من مادة جامدة. وبات شعاره الجديد في الحياة المثل الصيني القائل: "إرضاء الرغبات بالممتلكات أشبه بإطفاء النار بأغصانٍ يابسة".

أنا شخصياً تخلّصتُ من مقتنياتي عديمة النفع بحيلةٍ بسيطة: سمحتُ لنفسي بنسختين اثنتين إضافيتين فقط من كل الأشياء الاستهلاكية. يا لهذا التسهيل! إذ حتى بعدما استبعدت من شقّتي كل الأشياء عديمة النفع فيما يبدو، لا زلت أشعر بأنني مثقلة الكاهل بكثرة ممتلكاتي. حتى لو كانت تعجبني فعلاً، فهي في النهاية مجرد أشياء بطبيعة الحال. أن يكون لدينا من كل شيء أكثر من اللازم، ليس أفضل من أن يكون لدينا من كل شيء أقل من اللازم. إذاً، فقد آن أوان التغيير. كان لديّ ست وسادات على سريري. وتطبيقاً لشعار "قطعتان إضافيتان فقط"، لم أكن بحاجة سوى إلى وسادتين لي ووسادتين لضيوفي. هذا يعني أربع وسادات. هكذا أهديت وسادتين لإحدى صديقاتي. وطبّقت المبدأ ذاته على بياضات سريري أيضاً. لديّ سرير واحد، لذلك لا أحتاج إلى أكثر من ثلاثة أطقم، هكذا انتقيت الأطقم الثلاثة المحبَّبة إلى نفسي، وتخلّصت من البقية كافة. وفجأةً حظيتُ بمكانٍ في خزانة بياضاتي. الأمر بهذه البساطة فعلاً. طبّقْ صيغة "قطعتان إضافيتان فقط"، وأدخل النظام إلى بيتك. ابدأْ بالمطبخ - هكذا تخلّصتُ من عددٍ لا حصر له من فناجين قهوة بشعة في الغالب. بإمكان هذه الصيغة توفير احتياطياتٍ مكانية عديدة. طبّقْ في مكتبك الخطّة ذاتها، ودّعْ كل الأقلام الرخيصة، ولا تحتفظ سوى بالأقلام الثلاثة التي تستعملها فعلاً.

الأقلّ هو الأكثر: كلما قلّتْ مقتنياتك، توافرتَ على طاقةٍ أكثر. هذا المبدأ أيضاً يحمل الإيزوتيريين المتشبّعين بنوع خاص على التجوال عبر الطبيعة وهم لا يضعون أكثر من إزارٍ بسيط. أنا شخصياً أحبّ الملكية في الواقع، ولا يمكنني أن أنصحك بطريقة العيش هذه. تخلّصْ من كل ما هو عديم الأهمية ولا يسهّل

حياتك بشكل من الأشكال. ربما كانت المزهرية جميلة، ولكن هل تحبّها؟ كثيراً ما تبدو المزهرية الواحدة أجمل من مكانٍ متخمٍ بالمزهريات. قمْ بإهداء كل الأشياء الفائضة لمن يمكن أن يستعملها. تخلّصْ أولاً من الأشياء الأكثر تفاهةً - الملابس، الأثاث، الكتب. بعد ذلك يسهل عليك التخلّص من الأشياء الأكبر - عمل مُحبِط أو شراكة غير مرضية.